اليقين الثابت بالله -تعالى-

قال الله -تعالى-: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾.

🔺 قال الطبري -رحمه الله-:
وتوكَّلْ يا محمدُ [ﷺ] على الذي له الحياةُ الدائمةُ.

🔺 وقال القرطبي -رحمه الله-:
معنى التوكل: اعتمادُ القلبِ على اللهِ -تعالى- في كُلِّ الأمورِ، وأنَّ الأسبابَ وسائطُ أُمِرَ بها مِن غيرِ اعتمادٍ عليها.

🔺 قلت: من ترك السعي وبذل الأسباب المشروعة فقد خالف السنة، ومن ترك التوكل على الله فقد أشرك بالله -تعالى-؛ فترك بذل الأسباب المشروعة خدش في عقيدة المسلم، والاعتماد على الأسباب شرك بالله. ومعنى التوكل على الله: هو صدق اعتماد القلب على الله -تعالى- وحده لا شريك له، بتفويض الأمر إليه -سبحانه- بالثقة واليقين.

🔺 ومن التوكل على الله: الاستخارة، وقد كان الصحابة يستخيرون كما كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعلمهم الاستخارة في الأمور كلها:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ من فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فإنك تَقْدِرُ ولا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ ولا أَعْلَمُ، وأنت عَلاَّمُ الْغُيُوبِ».

🔺 ومعنى قوله -صلى الله عليه وسلم-: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ»:
أن العبد يسأل الله أن يدله على الخيار الأفضل، ويرشده -تعالى- بفضله إلى الأمر الصحيح، فالتوكل على الله في كل الأمور، والافتقار إليه -سبحانه-: نجاة العبد وفوزه.

🔺 ومِن سعادة المسلم استخارته الله -تعالى-، ورضاه بما قضى؛ لأن الله لا يقضي للمؤمن قضاءً إلا كان خيرًا له، فـ«إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرًا له» أيضًا.

🔺 قَالَ -تعالى-: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

قال ابن تيمية: ولهذا كان الصبر واليقين -اللذَين هما أصل التوكل- يوجبان الإمامة في الدين، كما دل عليه قوله -تعالى-: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

🔺 قلت: إن صبر المسلم يكون دافعه التقرب إلى الله عبودية، كما في قوله -تعالى-: ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: ليس لأمر دنيوي، بل عبودية لله، فهذا هو الصبر المحمود النافع في الدنيا والآخرة، الذي يحبس به العبد نفسه عبودية لربه وطلبًا لمرضاته وثوابه -جل جلاله-.

🔺 توكل يا عبد الله على ربك بيقين ثابت في مجابهة مخاوف المستقبل؛ ثقة بالله -تعالى-، وهو سبحانه العالم بما غاب عن أبصار وأذهان خلقه، كما قال -تعالى-: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾، وقد صح عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أنه قال: أُعطيَ نبيُّكم كلَّ شيءٍ إلا مفاتح الغيب.

كتبه: محمد عثمان العنجري
الأحد ١٩ ربيع الأول ١٤٤٦هـ
الموافق ٢٠٢٤/٩/٢٢م